

في استقاء معظم ملاحظاته الأربع والثلاثين من كتاب لاردنر حين أراد أن ينشر حكاية تقوم على وصف عجائب العصر من النوع الذي عرفه قراء المجلات الشعبية في ذلك العصر (ص ٥٠٢) . «ومع أن شهرزاد تدفع حياتها ثمناً للحكاية، فإن كل ما في الحكاية للمتعة، ومن الواضح أن بو مهتم بتجميع غرائب العلم بقدر ما هو فخور بالإنجازات الميكانيكية لعصره مثله مثل أي مشجع للتقدم» (ص ٥٠٢) .

لإبراز تقدم العصر وغرابة العلم وأنه يكون أحياناً أشد غرابة من الخيال، احتاج الكاتب الأمريكي إلى إطار قصصي تخرج منه شخصية غارقة في تكوينها الثقافي المغاير كشخصية شهريار الشرقي المسلم الذي يعرف القرآن. وحين تظهر هذه الشخصية عاجزة عن استيعاب منجزات العصر ومنسجمة فقط مع أفقها الخرافي المثير للمفارقة والضحك، فإنه لا يهم بو بعد ذلك ما إذا كان القرآن هو فعلاً مصدر الخرافة أم لا. فمن الذي سيسعى بين قراء بو إلى التأكد من صحة هذا المرجع بالذات؟ ولعل بعض أولئك القراء، إضافة إلى رواسب قديمة من الجهل وسوء الفهم والكراهية إزاء المسلمين، قد اطلعوا مثله على رواية الكاتب الإنجليزي وليم بيكفورد فاثك (أو الوثائق) التي نشرت بوصفها «حكاية عربية» عام في ١٧٨٦، والتي تحكي قصة عن الخليفة العباسي الواثق بالله وسعيه الجنوني لامتلاك القوة والخلود، في إطار غرائبي مألوف في القصص القوطي Gothic. فسيجد أولئك القراء في قصة بيكفورد مفارقة بين موقف أم الواثق نحو العلوم التي تعلمتها من بلادها اليونان فجلبتها معها والموقف الإسلامي إزاء تلك العلوم «التي يكرهها المسلمون الطيبون كراهية شديدة».^(١)

إذا ساعد هذا المثال من قصة سابقة على تفسير رد فعل شهريار نحو المكتشفات العلمية، فإن مثلاً آخر سيساعد على فهم موقف الكاتب الأمريكي نفسه إزاء ما بين يديه من موروث شرقي. ففي قصيدة مطولة للشاعر والقاص الإنجليزي الرومانتيكي توم مور عنوانها عشق الملائكة (١٨٢٢) نجد وصفاً للكيفية التي وقع بها ثلاثة من

^(١) *The Letters of Thomas Moore*, ed. Wilfrid S. Dowden (Oxford : The Clarendon Press, 1964), I,512.

وأنظر:

Wallace Cable Brown, "Thomas Moore and the English Interest in the East" *Studies in Philosophy*, 34, (1937), pp. 576-88.